التنافس العلمي بين المشارقة والمغاربة على أرض الأندلس في العصور الوسطى.

خديجة طاهر منصور*

تحت إشراف أ. د عبد القادر بوباية*

مقدمة: نظراً للمكانة العلمية العظيمة التي بلغتها حواضر الأندلس في العصور الوسطى غدت محط أنظار العلماء من جميع الأمصار؛ ومن هؤلاء المشارقة الذين توافدوا عليها فتفاوت تواجدهم عبر حواضرها عِداداً وتوزعا جغرافيا وحتى زمنيا؛ ويعود الفضل في ذلك إلى حكام وعلماء بلاد الأندلس الذين قاموا بجهدٍ معتبر مما أعطى للمنطقة موقعا متميزاً سمح بنشاط العلماء المشارقة أيضا بالرغم من اختلاف البيئة الثقافية والتكوين العلمي وحتى الانتماء المذهبي.

ومن أهم مظاهر التفاعل والاحتكاك بين الطرفين المشرقي والمغربي على أرض الأندلس التنافس العلمي الذي كان عبارة عن عملية أخذ وعطاء وتأثير على الجانبين، فلقد ساهم هذا التنافس في إثراء الحضارة الأندلسية خاصة والإسلامية عامة، وأصبح المشرقيون يأخذون من الأندلسيين بقدر ما كان الأندلسيون يأخذون منهم من العلوم والتأثيرات الثقافية والفكرية والفنية المتنوعة.

وعليه فإن الإشكالية العامة التي يعالجها موضوع هذا المقال تتعلق بالبحث في ظاهرة التوافد العلمي إلى الأندلس في العصور الوسطى من خلال معالجة التنافس العلمي بين المشارقة والمغاربة وانعكاسات ذلك على الحياة الفكرية في أرض الأندلس؟.

*طالبة دكتوراه ل.م.د سنة ثانية– العلم ومؤسساته في بلاد المغارب في العصور الوسطى والحديثة– قسم التاريخ وعلم الآثار– كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، وباحثة في مختبر تاريخ الجزائر– جامعة وهران1 أحمد بن بلة.

*أستاذ في تاريخ المغرب الإسلامي– قسم التاريخ وعلم الآثار– كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، ومدير مختبر تاريخ الجزائر– جامعة وهران1 أحمد بن بلة.

والمقصود بالعلماء المشارقة العلماء المنتمين إلى المشرق[1]، أي كل البلاد الإسلامية الممتدة جغرافيا من مصر حتى بلاد فارس وتضم مصر وبلاد الشام والحجاز والعراق واليمن وخراسان وفارس الوافدين على الأندلس.

وليس من اهتمامات هذه المداخلة رصد حركة التوافد المشرقي إلى الأندلس أثناء وبعد مرحلة الفتح الإسلامي للمنطقة واستقرار العرب فيها– تبعية الأندلس لبلاد المشرق–، وإنما الغرض منها، على وجه التحديد، تتبع النشاط العلمي للمشارقة على أرض الأندلس المستقلة سياسيا عن خلافة المشرق من خلال ظاهرة التنافس العلمي، أي بعد النصف الثاني من القرن الثاني الهجري بدخول عبد الرحمن الأندلس سنة 138هـ/755م وإعلانه قيام الإمارة الأموية، لتبدأ مرحلة تكوين الوجه الحضاري للشخصية العلمية الأندلسية المستقلة وكان أمراً لابد منه وهدفا منشودا لحكامها من أجل مضاهاة العباسيين بالمشرق؛ وكمرجعية أولى نهل الأندلسيون علوم المشارقة عن طريق الرحلة العلمية إلى المشرق منبع وإشعاع مختلف العلوم، إلا أنهم لم يقفوا على علوم وفنون أهل المشرق، بل تعدى الأمر إلى اعتماد الذات في البحث والمشاركة والتأسيس لمختلف العلوم في شتى الميادين ونقد مؤلفات المشارقة والخروج عن التقليد والمألوف، وهذا معناه إنهاء التبعية الفكرية والعلمية للمشرق الإسلامي، وبذلك قطعت الأندلس شوطا حضاريا كبيرا بعدما نهلت من مدخرات الأمم أصبحت هذه الرقعة الجغرافية تمثل إحدى أقطاب الحضارة الإسلامية الكبرى.

ونظرا لأنه خصصت جهود كبيرة من قبل الباحثين حول دراسة الوجود العلمي المغربي بالمشرق، نحاول في هذه الورقة البحثية تتبع نشاط أعلام العلماء المشارقة في بلاد الأندلس مركزين على التنافس العلمي كنموذج للتفاعل والتبادل الثقافي الحي بين المغرب والمشرق في العصور الوسطى، وهو من المواضيع الهامة التي يجب على الباحثين في التاريخ الفكري الأندلسي تسليط الضوء عليها.

وإن التنافس العلمي بين المشارقة والمغاربة كان بعد أن أصبح للأندلس استقلال فكري وصدى حضاري جلب أنباه المشارقة إليها الذين كانوا يتشوقون لأخبارها وعلومها فشد بعضهم الرحال إليها، ليكون التنافس نتيجة حتمية، فلكل من الشخصية العلمية المشرقية والأندلسية ميزات خاصة بها، إلا أن هدفهما واحد وهو إثبات التفوق العلمي على أرض الأندلس.

أولا: اهتمام الأندلسيين بالترجمة للعلماء المشارقة الوافدين: لقد اهتم الأندلسيون بإخوانهم المشارقة الوافدين على أرض الأندلس بالترجمة لهم في مؤلفاتهم، وذلك للتقدير والاحترام والثقة التي يبديها أهل الأندلس على اختلاف مستوياتهم العلمية والثقافية لأهل المشرق عامة وأهل العلم منهم خاصة، ولولا هذه المادة المصدرية لما استطعنا التعرف على العلماء المشارقة ونشاطهم،كما أن تميز الأندلسيون بنوع خاص من المؤلفات وهي كتب التراجم والسير والفهارس يُساعد على هذا النوع من البحوث خاصة وأن كثير من مؤلفيها عايشوا هؤلاء المشارقة الوافدين وكان لهم احتكاك بهم، ويمكن رصد اهتمام المؤلفات الأندلسية بالعلماء المشارقة من خلال:

– **تخصيص إحدى أبواب أو أجزاء الكتاب للعلماء المشارقة:** عمد المقري التلمساني صاحب كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب إلى تخصيص بابا للمشارقة الوافدين على الأندلس وهو الباب السادس في الجزء الثالث قائلا: "في ذكر بعض الوافدين على الأندلس من أهل المشرق، المهتدين في قصدهم إليها بنور الهداية المضيئ المشرق، والأكابر الذين حلوا بحلولهم فيها الجيد منها والمِفْرق، والمفتخرين برؤية قُطرها المونق، على المِشْئِم والمِعْرِق"[2]؛ وقد ضمَن هذا الباب ستة وثمانين ترجمة، هذا العدد الكبير يعود إلى تأخر فترة تأليف هذا الكتاب واشتماله على باقي المؤلفات، كما أن هذا العدد غير مؤكد فقد انفرد بذكر تراجم لشخصيات لا نجدها في بقية المصادر المغربية والمشرقية عامة، إضافة إلى ذلك فقد صرح بنفسه لما تعرض لذكر التابعين الداخلين الأندلس"، وقد عرفت بما ذكرناه التابعين الداخلين الأندلس، على أن التحقيق أنهم لم يبلغوا ذلك العدد"[3]، وتخص تراجم المشارقة في بلاد الأندلس منذ فتح الأندلس92هـ/710م إلى غاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.

أما ابن بسام فقد أورد ذكر المشارقة عنده ضمن الجزء الأول من القسم الرابع– آخر الأقسام– من مؤلفه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الذي عنونه بـ"ذِكر الكُتاب الوزراء، والأعيان الأدباء والشعراء، الوافدين على جزيرة الأندلس، والطارئين عليها، من أول المائة الخامسة من الهجرة إلى وقتنا هذا الذي هو سنة اثنتين وخمسمائة"[4]، وشملت الوافدين من المشرق والقيروان وصقلية وقد كانت تراجمه مختارة، وتميزت هذه التراجم الخاصة بالأدباء والشعراء فقط من المشارقة في هذا المؤلف بالقلة من حيث العدد وحجم الترجمة التي كان أغلبها استطرادا للأخبار السياسية الأندلسية، ومثال ذلك ترجمة صاعد البغدادي التي كان مجملها ذكر لأخبار الدولة العامرية[5].

– **الترجمة لهم ضمن الغرباء:** من المؤلفات الأندلسية التي ترجمت للعلماء المشارقة في إطار تخصيص للغرباء قسم من مؤلفاتهم في نهاية كل حرف من الحروف الأبجدية (حرف الألف: ومن الغرباء في هذا الباب) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، والصلة لابن بشكوال، والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار القضاعي، وصلة الصلة لابن الزبير.

– **الترجمة لهم جنبا إلى جنب مع غيرهم من العلماء الأندلسيين:** من الكتب التي لم يميز أصحابها في الترجمة بين العلماء المشارقة والمغاربة نجد جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي، وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي، والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابن عبد الملك المراكشي.

– **كتب الفهارس والبرامج:** وهي من المؤلفات التي ترجمت للمشارقة باعتبار العلماء المشارقة كانوا أساتذة لهؤلاء العلماء الأندلسيين الذين ترجموا لشيوخهم نجد برنامج شيوخ الرعيني، الغنية وهي فهرست شيوخ القاضي عياض، إضافة إلى كتب التاريخ العام التي ذكرت عدة علماء مشارقة كان لهم نصيب في الحياة السياسية في الأندلس؛ ومن خلال كل هذه المادة المصدرية المتنوعة نستطيع التعرف على العلماء المشارقة الذين ساهموا في الحركة الفكرية الأندلسية بتنوع مجالاتهم في الحياة الدنيوية والعلمية فمنهم الأدباء، والشعراء، والفقهاء، والمحدثين، وطلبة العلم، والتجار، والرحالة المتجولين وباختلاف أوطانهم وأجناسهم فمنهم الرجال والنساء من الجواري والحرائر، وتنوع انتماءاتهم الفكرية والمذهبية والسياسية، ومن ثمة رسم صورة عن الجو التنافسي السائد بين المشارقة والمغاربة في أرض الأندلس.

ثانيا: العلماء المشارقة في أرض الأندلس:

أ– دواعي توافد العلماء المشارقة على أرض الأندلس: يمكننا رصد أسباب وجود الطبقة المشرقية العالمة على أرض الأندلس من خلال تتبع تراجمهم، إلا أن أغلب العلماء لم تصرح لنا المصادر بأسباب وفادتهم وأهدافهم من دخول الأندلس التي كانوا يفضلونها على بلاد المغرب[6]، وإن حرية تنقل الأفراد في العصور الوسطى ساعد على توافد العلماء المشارقة إلى الأندلس كظاهرة كان مسارها عكس التيار المعهود في تلك الفترة، فلم يكن في الأندلس بقاع مقدسة تشد الرحال إليها، ولكن أغلب هؤلاء الوافدين كان توجههم إلى بلاطات السلاطين، ولم تكن الرحلات

المشرقية الأندلسية أمرا شائعا لذلك يمكن حصر مبررات تواجدهم في الأندلس من خلال مجالات تخصصهم في الحياة وانتماءاتهم وولائهم.

– **التجارة**: كثير من التجار المشارقة الذين دخلوا الأندلس كانوا علماء فقهاء زاولوا النشاط التجاري كمهنة في الحياة، مع شغف الرحلة وحب الإطلاع وتقصي الحقائق والتعرف على المجهول، أو كحجة يدخلون بها على السلاطين، ويتجولون بها في الأصقاع للجلوس بين أيدي العلماء، أو ربما بحثا عن الثراء، كما ساهموا في تلقين الدروس أثناء تواجدهم بالأندلس؛ ومن العلماء المشارقة التجار الذين كانوا كثيري التردد على ملوك بني مروان بالأندلس محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكناني الرازي (ت273هـ /886م) الذي وصفه ابن الأبار القضاعي بقوله: "وكان مع ذلك مفتناً في العلوم"[7]، وممن دخل الأندلس بصفة تاجر أيضا علي بن بندار بن إسماعيل بن موسى بن يحي بن خالد بن برمك البرمكي البغدادي الداخل سنة 337هـ[8]/948م، والتاجر أبو الطاهر إسماعيل بن الاسكندراني الفقيه على المذهب الشافع[9]، وكذا الشيخ أبو نصر سهل بن علي بن عثمان النيسابوري التاجر شافعي المذهب توفي بألمرية منصرفا إلى بلده سنة 531هـ/1136م[10]، ولعل أشهر تاجر عربي جوال هو الرحالة الجغرافي ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي النصيبي البغدادي (ت380هـ/990م) صاحب كتاب صورة الأرض الذي دخل الأندلس وعاش في قرطبة على عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله[11].

– **الولاء السياسي**: لقد هاجر موالي بني أمية من المشرق بعد نجاح عبد الرحمن الداخل في إرساء الإمارة الأموية بالأندلس[12]، ومن هؤلاء إبراهيم بن سليمان الشامي من موالي الأمويين الداخل الأندلس على عهد الحكم المستنصر[13]، كما يمكن أن تكون سبب وفادته أيضا البحث عن الشُهرة إذ ما عرفنا أنه شاعر وجد في عصر فطاحلة شعراء المشرق مثل أبو نواس وأبو العتاهية.

– **اللجوء السياسي**: ومن أشهر علماء المشارقة اللاجئين إلى المغرب أبو المكارم هبة الله بن الحسين المصري (ت 586هـ/1190م)، وتصرح المصادر بسبب وفادته" وكان قدوم أبي المكارم هذا المغرب خوفا من صلاح الدين يوسف بن أيوب في قوم من شيعة العبيدي ملك مصر ووفد أيضا أبو الوفاء المصري معه"، وكان ذا علم بالحديث والأصول وولي قضاء إشبيلية[14].

– **الرحلة العلمية**: وممن وفد على الأندلس طلبا للعلم زيد بن الحباب من الكوفة، ورحل للقاء القاضي معاوية بن صالح الحضرمي– وهو مشرقي أيضا اشتهر بالحديث–، فسمع عنه حديثا

كثيرا[15]، والوليد بن محمد بن يوسف بن عبيد الله بن عبد العزيز بن عمرو بن عثمان بن محمد بن خالد بن عقبة بن أبي معيط القرشي دخل الأندلس سنة 282هـ/895م طلبا للعلم فأدرك ابن وضاح والخشني وعبيد الله بن يحي فأخذ عنهم ثم انصرف إلى المشرق سنة 290هـ/ 902م[16].

– **الهجرة بسبب العبيديين:** لما استولى بنو عبيد على مصر قاموا بإظهار مذهبهم، مما دفع بكثير من فقهاء وعلماء أهل السنة بمصر إلى الهجرة، ومن هؤلاء إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي الذي اختار الأندلس موطنا له، فاستقبله الحكم المستنصر[17]، كما وفد على الأندلس الأديب الحكيم ابن الأزرق أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن حامد بن موسى بن العباس بن محمد بن يزيد بن محمد بن مسلمة ابن عبد الملك بن مروان (ت 385هـ/995م) الذي قصد المغرب في أول أمره فاعتقله الشيعة ثلاث سنوات، ثم أطلقوا سراحه ففر إلى الأندلس ودخلها سنة 349 هـ/960م على عهد الحكم المستنصر فأحسن إليه[18].

– **الرسل:** إن بعض العلماء المشارقة وفدوا كمراسيل لحكامهم منهم الشيخ عبد القاهر بن محمد ابن عبد الرحمن الموصلي، يذكر المقري نقلا عن ابن حيان قوله: "قدم علينا رسولاً من ملك مصر إلى ملك الأندلس، فسمعت منه بالمرِية"[19]؛ وأبو محمد عبد الله بن عبد الوهاب المعروف بالطندتائي[20]، دخل الأندلس بصفة رسول للخليفة العباسي ولكنه استوطن مرسية ودرَس بها وخرج منها لما استولى عليها النصارى سنة 642هـ/1244م[21].

– **صلة القرابة:** ذكر ابن الأبار أن سبب وفادة أحد العلماء المشارقة على الأندلس صلة قرابة بقاضي إشبيلية (وكانت بينه وبين قاضيها قرابة)، وهو أبو القاسم محمد بن يحي بن إبراهيم الخزرجي المعروف بأخي أبي الوفاء (ت 610هـ/1213م) من أهل مصر المتوفى سنة 610هـ/1213م[22].

– **البحث عن المناصب في بلاطات حكام الأندلس:** كثير من العلماء المشارقة قادهم شغفهم في المناصب، وحب الشهرة إلى الوفادة على الأندلس وهم عدة فئات:

الشعراء: أكثر من وفد على الأندلس هم الشعراء الذين كانوا يقصدون قرطبة في عهد الخلافة الأموية، وبلاطات حكام ملوك الطوائف فيما بعد فيتجولون فيها تقربا من السلاطين يمدحون هذا ويهجون ذاك؛ ومن هؤلاء أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك الذي تجول في بلاط المعتمد بن

عباد والمقتدر بن هود مادحا لهما، وأشهر بيت له في مدح المعتمد بن عباد هو قوله: وأنتَ سليمانُ في مُلكِهِ وبين يديكَ أنا الهدهدُ[23].

وأشهب بن العضد الخراساني الذي وفد على بلاط ابن هود في اشبيلية[24].

القضاة: من أشهر القضاة المشارقة بالأندلس معاوية بن صالح الحَضْرميُ الحمصيُ ولاه الأمير عبد الرحمن بن معاوية القضاء بقرطبة، وهو من كبار أهل العلم ورواة الحديث، أخذ عنه عدد كبير من أئمة الأمة منهم سفيان الثوري[25]، وتوفي سنة 168هـ/748م[26]، وكذلك أبو الحسن علي بن محمد بن أبي عشرة الفارسي الذي تولى قضاء بلنسية واشبيلية ثم تقلد منصب قضاء الجماعة[27].

– **الوراقون:** أما بالنسبة لامتهان الوراقة في البلاطات فقد كان ظفر البغدادي الذي سكن قرطبة من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط فاستخدمه الحكم المستنصر لذلك[28].

– **الجلوس للتدريس:** لقد كان لبعض المشارقة العلماء مقصد شريف بدخولهم الأندلس فجلسوا لإلقاء الدروس وتلقين علومهم فأصبح لهم تلاميذ وأتباع، كما أن كثير من مشاهير علماء الأندلس درسوا على المشارقة في أرضهم، ومن هؤلاء الأساتذة بالأندلس عبد اللطيف بن أبي الطاهر أحمد بن محمد بن هبة الله الهاشمي الصوفي البغدادي الوافد سنة 613هـ/1216م، قال عنه ابن الأبار: "وله تواليف في التصوف منها تأليف في إباحة السماع قرأت عليه أكثره وقرأت عليه عوالي النقيب بإشبيلية"[29]، وأبو بكر عمر بن عثمان بن محمد بن أحمد الخراساني الباخرزي الماليني الذي لقَنَ الحديث في مدينة مرسية وغرناطة ومالقة، ومن تلامذته أبو جعفر بن الجيار وأبو علي بن هاشم[30].

– **الجهاد:** ومن العلماء المشارقة الذين دخلوا الأندلس رغبة في الجهاد أبو البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب– رضي الله عنه–، كان ذا علم وأدب ومعرفة بالكلام على طريقة الأشعرية[31].

وهناك من دخل الأندلس متجولا واعظا ومذكرا مثل أبي البركات عبد الرحمن بن داود بن علي المصري الفقيه الشافعي المعروف بالزيزاري، وسُمع منه النصح في اشبيلية، وقرطبة، ومرسية، وبلنسية، وتوفي بإفريقية راجعا إلى المشرق في حدود سنة 610هـ/ 1213م[32]، ومن الذين اتسموا بصفة الرحالة الوافدين على الأندلس رغبة في رؤية هذا البلد الشيخ الشريف نجم الدين بن مهذب الدين البغدادي[33].

كما أن احتمال اللقاء بين المشارقة والأندلسيين بمكة في موسم الحج والبقاع المقدسة الأخرى بالمشرق، أين أثبت الأندلسيون تفوقهم في عدة علوم من خلال المناظرات، وربما حديثهم عن بلادهم ووصفها دفع بكثير من المشارقة إلى شد الرحال نحو الأندلس للقاء مشايخها ورؤية هذا القطر الحضاري، ومنه فقد تعددت أهداف الراحلين من أهل المشرق إلى الأندلس، ولا يُستبعد أن كثير منهم دفعه حب الشُهرة والتعلق بخدمة السلاطين إلى الوفادة على الأندلس إذ لم يستطع تحقيق ذلك الأمر في بلاد الشرق.

ب– المجالات التي برع فيها العلماء المشارقة بالأندلس: عموما فإن مجالات التنافس بين المشارقة والمغاربة– على حسب المادة المصدرية– كانت في العلوم النقلية لا غير رغم براعة جلة من العلماء المشارقة الوافدين في العلوم العقلية كالحساب والطب وغيرها، لضرورة محفزات التنافس وأهدافه، وليسهل علينا البحث على نماذج حية للتنافس لا بد من تصنيف هؤلاء الوافدين على حسب مجالات تخصصاتهم –رغم تداخل كثير منهم في عدة فنون– التي كانت محل استعراض لقدراتهم العلمية أمام الأندلسيين.

– اللغة والشعر والأدب: وهو أكثر المجالات التي برع فيها المشارقة الوافدون، وبذلك فهي أكثر التخصصات منافسة وأشدها وأقواها صيتا، ومن أشهر الأدباء المشارقة الذين حلوا بالمغرب القالي[34] أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون البغدادي (ت 356هـ/966م) الداخل قرطبة 330هـ/941م واستوطنها وبها ألف أكثر كتبه[35]، ذكر السيوطي نقلا عن الزبيدي قوله:"كان أعلم الناس بنحو البصريَين، وأحفظ أهل زمانه للغة، وأرواهم للشعر الجاهلي، وأحفظهم له"[36]؛ واللغوي أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي الموصلي البغدادي (ت 410هـ/1019م)، دخل على المنصور العامري وأصبح من ندمائه وألف له كتاب الفصوص[37]، يصفه ابن بسام بقوله: "طلع على آفاق الجزيرة في أيام المنصور محمد بن أبي عامر نجماً من المشرق غَرَب، ولساناً عن العَرَبِ أغرَب، أَبْدَهُ من رأى وسمِعَ، وأذكى مَنْ طارَ ووَقَع"[38]، وأبو القاسم عبد الخالق بن إبراهيم الخطيب الذي قال عنه ابن الأبار" كان أديباً قوي العارضة مطبوع الشعر مديد النفس"[39]؛ وأبو محمد أشهب بن محمد الأنصاري البغدادي، أديب وشاعر كان على المذهب الشافعي توفي عائدا إلى بلاده سنة 646هـ/1248م[40]، ومن النساء الأستاذة الأديبة الشاعرة سارة بنت أحمد بن عثمان

ابن الصلاح، الحلبية التي دخلت الأندلس ومدحت أمرائها ومن أشهر ما قالته حنينا لأهلها وموطنها:

إذا ما ذكرت الشرق طرت له شوقاً * وشوقي لمن بالشرق أذكرني الشرقا[41].

– **علم الحديث**: من أشهر علماء الحديث من أهل المشرق الداخلين الأندلس أبو جعفر أحمد بن الحسن بن الحارث بن عمرو بن جرير بن إبراهيم بن مالك بن الحارث النخعي المعروف بالأشتر الكوفي، وفد في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، هذا الأخير الذي روى عنه الحديث وأنزله برِيَة[42]، وأبو الأشعث الكلبي الذي دخل الأندلس وكان شيخا مُسِناً يروي عن أمه عن عائشة رضي الله تعالى عنها، وكان مختصاً بعبد الرحمن بن معاوية[43]، وأبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر بن إسحاق بن عمرو بن مزاحم بن غياث التميمي، البخاري (ت 471هـ/1078م)، كان من الحفاظ الأثبات، يُحدث عن مائتين من أهل الحديث، دخل المغرب والأندلس[44] قال ابن الأبار: "سمع منه أبو عبد الله الرازي وذكره في مشيخته ومنها نقلت اسمه وتعرفت دخوله الأندلس"[45]؛ وعمر بن عثمان بن محمد بن أحمد الخراساني، الذي دخل بصفة رسول وحدث بصحيفتي الأشج وجعفر بن نسطور الرومي[46].

– **الفقه والتفسير**: ورد على الناصر بقرطبة سنة 343هـ/954م فقيه أهل مصر العالم أحمد بن أبي عبد الرحمن، واسمه يزيد بن أحمد بن أبي عبد الرحمن القرشي الزهري من ولد عبد الرحمن بن عوف[47]، كما دخل أيضا الفقيه الشافعي أبو الطيب محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبي بردة البغدادي ويقول ابن الفرضي عن وفادته" وصل أبو الطيب إلى الأندلس سنة إحدى وستين وثلاثمائة فأكرمه أمير المؤمنين المستنصر...وكان من أعلم الناس بمذهب الشافعي، وأحسنهم قياما به، ولم يصل إلى الأندلس أفهم منه بالمذهب، ...ينسب إلى الاعتزال ورفع ذلك إلى السلطان فأمر بإخراجه من البلد"[48]، و أبو بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكافي الأنصاري الدمشقي (ت 597هـ/1200م) ورد على الأندلس651هـ/1253م، واشتهر فيها بعلم التفسير، التقى به ابن الزبير صاحب صلة الصلة فقال: "ولقيته بمرسية، ثم وصل غرناطة، فلقيته بها وجالسته واستدعيته إلى منزلي...وكتب لي بالإجازة مرتين...وكان يشارك في علم الطب..."[49].

– **القراءات وعلوم القرآن**: ومن المشارقة الوافدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن آدم الخراساني[50]؛ وأبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن بشر الأنطاكي، التميمي (ت 377هـ

/987م) الذي دخل الأندلس سنة 352هـ/963م، قال عنه ابن الفرضي" كان عالما بالقراءات رأساً فيها، لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته، روى حديثا كثيرا عن الشاميين والمصريين وغيرهم، وأدخل الأندلس علما جما من القراءات، وكان بصيرا بالعربية والحساب، وله حظ من الفقه على مذهب الشافعي، قرأ الناس عليه وكتبوا عنه، وسمعوا منه، وسمعت أنا منه"[51].

– **الغناء**: أشهر وافد على الأندلس من المشرق في مجال الغناء عالم الموسيقى ورئيس المغنيين، الأديب والشاعر، المنجم، أبو الحسن علي بن نافع، الملقب بزرياب (ت 238هـ/852م)[52]، اشتهر اسمه بدخوله الأندلس، فقد ورد على عبد الرحمن بن الحكم فأحسن استقباله، حتى قيل "فبدأ بمجالسته على النبيذ وسماع غنائه، فما هو إلا أن سمعه فاستهواه واطَرح كل غناء سواه، وأحبه حبًا شديداً وقدمه على جميع المغنيين"، وهو أول من أضاف الوتر الخامس لآلة العود، واخترع مضراب العود من قوادم النَسْر، وكان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بألحانها، وقد اتخذه ملوك أهل الأندلس وخواصهم قدوة في الآداب والأطعمة واللباس والفرش[53]؛ كما أن أكثر الداخلات الأندلس مغنيات وهن في الأصل جواري، جلبن من المشرق ابتاعهن ملوك الأندلس، أو قدمن كهدايا للسلاطين، أو وهبن أثناء رحلة الحج للأندلسيين من قبل المشارقة، أو جلبن من طرف الرحالة الأندلسيين في المشرق، وكن يتقن قول الشعر والغناء ومن أشهرهن: فضل المدينة وعلم المدينة[54]والعجفاء[55]، وقمر البغدادية [56] فمن شعرها تتشوَق إلى بغداد:

آهاً على بغدادها وعراقها وظبائها والسحر في أحداقها

نفسي الفداء لها فأيُ محاسن في الدهر تُشرق من سنا إشراقها[57].

كما دخل الأندلس كثير من صوفية المشرق منهم الولي الصالح سيدي يوسف الدمشقي من أهل القرن التاسع الهجري الذي كان شاذلي الطريقة[58].

أما بالنسبة لتوزع العلماء المشارقة بأرض الأندلس من الناحية الجغرافية فقد كان توجه أغلب العلماء المشارقة إلى المدن الكبرى قرطبة عاصمة الإمارة والخلافة، ثم عواصم كبار ملوك الطوائف غرناطة، إشبيلية، طليطلة، سرقسطة، وبعض المدن مثل: ألمرية، مرسية، مالقة، رية، دانية؛ على أن هذا التوافد شمل كل عصور الأندلس من عهدي الإمارة والخلافة الأموية ثم الفتنة الأندلسية وملوك الطوائف وعصر المرابطين والموحدين؛ ويقل هذا التوافد مع بداية ضعف الأندلس الموحدية، وفقدان

الأمن خاصة بعد انهزام المسلمين في معركة حصن العقاب الكبيرة 609هـ/1212م، على أن أكثر العهود إقبالا للمشارقة كانت فترة الحكم الأموي والموحدي.

ثالثا: التنافس العلمي المشرقي المغربي على أرض الأندلس: إن الهدف الحقيقي من وراء التنافس بين العلماء المشارقة والأندلسيين على أرض الأندلس كان محاولة إثبات التفوق العلمي لكل فريق، فالوافد المشرقي يفتخر بانتسابه إلى مهد الحضارة الإسلامية ومنبعها، بينما العالم الأندلسي يعتز بموطنه الأندلس التي غدت إحدى أكبر روافد هذه الحضارة بعدما نهلوا كل علوم الشرق وطوروا فيها، فيسعى لإثبات أنه ندٌ للأول، أو يتفوق عليه؛ وأما أسباب ذلك فمتعددة منها: التفاخر والحسد والغيرة والرغبة في التقرب من الحكام بغية نيل المناصب والحظوة والارتقاء، وربما كان بتشجيع السلاطين لذلك بطريقة غير مباشرة من خلال امتحان الوافد والمناظرات التي كانت تجرى في البلاطات من أجل المباهاة، وأسباب أخرى تتعلق بشخصية العالم الوافد ونظيره الأندلسي من صفات التكبر والإعجاب بالنفس؛ وعموما فإن الجو السائد بالأندلس جعل الكثير من المشارقة يستقرون فيها نهائيا فاتخذوها بذلك وطنا لهم.

العالم المشرقي	العالم الأندلسي	مكان التنافس	مجال التنافس	المصدر
القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيس بن محمد بن سلمان.	– ابن رفاعة الإلبيري	قرطبة على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر.	الشعر	المقري، نفح الطيب، ج3، ص70–71.
القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيس بن محمد بن سلمان.	– الفقيه محمد بن عبد البر الكسياني – القاضي منذر بن سعيد	إحتفال بدخول رسول القسطنطنية على الناصر بقرطبة	خطبة	النباهي، تاريخ قضاة الأندلس –في ترجمة القاضي منذر بن سعيد، ص 81.
صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي .	أديب يقال له بشاَر وهو أعمى.	مجلسَ الأمير الموفَق مجاهد بن عبد الله العامريفي مدينة	سؤال عن معنى الجرنفل في كلام	السيوطي، بغية الوعاة، ج2،ص 8. ابن خلكان، وفيات

		دَانينة	العرب[59]	الأعيان، ج2، ص489.
صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي .	الزبيدي، والعاصمي، وابن العريف.	مجلس المنصور بن أبي عامر مع كبار أدباء الأندلس في قرطبة.	النحو، واللغة، الأدب ، الشعر، حكاية الغرائب.	ابن بسام، الذخيرة، القسم الأول، ص14. المقري، المجلد3، ص77.
صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي .	ابن العريف	مجلس المنصور بن أبي عامر في قرطبة	الشعر	ابن بسام، الذخيرة، ص15-16.
الأديب أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك	ابن بسام ومجموعة من الشعراء	إشبيلية	الشعر	الذخيرة – القسم الأول- ص255-259 نفح الطيب – المقري المجلد الثالث ص 119

ومن الصور التي تجسد لنا هذا التنافس في الشعر ما حدث بين أبي علي القالي البغدادي وابن رفاعة الإلبيري ونص ذلك" لما وفد أبوعلي القالي على الأندلس أمر الأمير الحكم عامله ابن رماحس أن يجيء مع أبي علي القالي إلى قرطبة، ويتلقاه في وفد من وجوه رعيته تكرما لأبي علي، ففعل ذلك وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل، فكانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم، ويتناشدون الأشعار، إلى أن تحاوروا يوماً وهم سائرون أدبَ عبد الملك بن مروان ومساءلَتَه جلساءه عن أفضل المناديل وإنشاده بيت عبَدَة ابن الطبيب:

ثُمَتَ قُمْنا إلى جُرْدٍ مسوَمة أعْرَافُهُن لأيدينا مناديلُ

وكان الذاكر للحكاية الشيخ أبا علي، فأنشد الكلمة في البيت «أعرافها لأيدينا مناديل» فأنكرها ابن رفاعة الإلبيري، وكان من أهل الأدب والمعرفة، وفي خلقه حرَج وزَعارة ، فاستعاد أبا علي البيت متثبتاً مرتين، في كلتيهما أنشده «أعرافها»، فلوى ابنُ رفاعة عِنانه منصرفاً وقال: مع هذا يُوفَد على أمير المؤمنين وتُتجشم الرحلة لتعظيمه، وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس لا تغلط الصبيان فيه؟ والله لا تبعته خُطوة، وانصرف عن الجماعة ، ونَدَبه أميره ابن رماحس أن لا

يفعل، فلم يجد فيه حيلة، وكتب إلى الحكم يعرفه ويصف له ما جرى لابن رفاعة ويشكوه، فأجابه على ظهر كتابه: الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يخطئ وافد أهل العراق إلينا، وابن رفاعة أولى بالرضى عنه من السخط، فَدَعْه لشأنه، واقدم بالرجل غير منتقص من تكرمته، فسوف يُعليه الاختبار إن شاء الله تعالى أو يحطه"[60].

إن هذا السبب الظاهر– الاختلاف على بيت شعري– في الرواية لا يمكن أن يكون وراء مغادرة الإلبيري لموكب رسمي أمر ابن الخليفة– وهو في منزلة الوزير من أبيه[61]– بتهيئته، وإنما هناك دوافع أخرى خفية قد تكون عزة نفس الإلبيري الذي مشى في هذا الموكب مجبراً بأمر ابن رماحس ولما سمحت له الفرصة غادره، أو ربما حركته الغيرة والحسد من هذا الوافد الجديد الذي سيكون له مكانة في البلاط فكان يرى فيه منافسا، ذلك لأن طبيعة الملوك التطلع إلى الغرباء فيقربونهم منهم ويولونهم المناصب، كما اشتهر الحكم المستنصر بحب الاعتناء بالعلماء واحتضانهم في البلاط، فقد كان يرى فيهم مكسبا كبيرا يجب الحفاظ عليه بتهيئة الظروف المناسبة لذلك من استقبال جيد وعطاء سخي.

وهناك نموذج آخر لنفس الشخصية المشرقية القالي، في رواية وردت عند النباهي لما ترجم للقاضي مُنذر بن سعيد نصها " أن الناصر لدين الله لما احتفل في الجلوس لدخول رسول ملك الروم الأعظم، صاحب القُسْطَنطنية عليه، بقصر قرطبة، ...أحب أن يقيم الخطباء والشعراء بين يديه بذكر جلالة مقعده، وتقدَم إلى الأمير الحكم بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء، ويقدمه أمام نشيد الشعراء، فأمر الحكم صنيعته الفقيه محمد بن عبد البرَ الكسيانيَ بالتَأهُب لذلك، وإعداد خطبة بليغة،...فلما قام يحاول التكلُم بما رواه، بهره هول المقام وَأبَهَة الخلافة، فلم يَهْتدِ إلى لفظة، بل غُشِيَ عليه، وسقط على الأرض، فقيل لأبي علي البغدادي... "قُم! فارقعْ هذا الوهي!" فقام، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهلهُ، وصلى على نبيه محمد– صلى الله عليه وسلم– ثم انقطع به القول!، فوقف ساكتا...فلما رأى ذلك مُنذر بن سعيد، قام من ذاته، فوصل افتتاح أبي عليَ لأول خطبته بكلام عجيب...وبدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو علي البغدادي..."[62].

أما عن مساهمة الحكام في إضفاء روح التنافس بين العلماء فكان عن طريقة امتحان هذا الوافد الذي تلفت إليه الأنظار فيتشوقون لمعرفة مقامه، ومما تذكره المصادر: "ومن غريب ما جرى لصاعد أن المنصور جلس يوماً وعنده أعيان مملكته ودولته من أهل العلم كالزبيدي والعاصمي وابن

العريف وغيرهم، فقال لهم المنصور: هذا الوافد علينا يزعم أنَه متقدم في هذه العلوم، وأحب أن يمتحن، فوجَه إليه، فلمَا مثل بين يديه والمجلسُ قد احتفل خجل فرفع المنصور محلَه وأقبل عليه، وسأله عن أبي سعيد السيرافي، فزعم أنَه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه، فبادر العاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب، فلم يحضره جوابها، واعتذر بأن النحو ليس جُلَ بضاعته، فقال له الزبيدي: فما تحسن أيَها الشيخ؟ فقال: حفظ الغريب، قال: فما وزن أولق، فضحك صاعد، وقال: أمثلي يُسأل عن صِبيانُ المكتب، قال الزبيدي: قد سألناك، ولا نشك أنَك تجهله، فتغير لونُه، وقال: أفعل وزنه، فقال الزبيدي: صاحبكم مُمَخْرق، فقال له صاعد: أحال الشيخ صناعته الأبنية، فقال له: أجل، فقال صاعد: وبضاعتي أنا حفظ الأشعار، ورواية الأخبار، وفك المعمَى، وعلم الموسيقى، فقال: فناظره ابن العريف، فظهر عليه صاعد، وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعراً شاهداً، وأتى بحكاية يجانسها، فأعجب المنصور"[63].

إن ابن العريف لم يسكت عن هذا الانهزام أمام صاعد البغدادي في مجلس المنصور، وتحين له مرة أخرى، يقول ابن بسام: "وأدخِل على المنصور يوماً وَرْدَةٌ في غيرِ أيَامها، لم تستتِم فتحَ كِمامِها، فقال:

أتَتْك أبا عامرٍ وردَةٌ يُذكركَ المِسكُ أنفاسَها

كعَذْراء أبصرَها مُبصِرٌ فغطَتْ بأكمامِها راسَها

فسُرَ بذلك المنصور، وكان ابنُ العَريفِ حاضراً، فحسَدَهُ وجرى إلى مُناقَضَته، وقال لابن أبي عامر : إنَ هَذَينِ البَيتَين لغَيرِه، وقد أنشَدَنيهما بعضُ البغداديينَ بمصرَ لنفسِه، وهُما عندي على ظهرِ كتابِ بخطه. فقال لهُ المنصور: أرِنيه، فخَرَجَ ابنُ العَريفِ ورَكِبَ وجعل يَحُثُ حتى أتى مَجلِسَ ابنِ بدر، وكان أحْسَنَ أهلِ وَقتِهِ بديهةً، فوصف له ما جرى – في أبيات شعرية ضمَن البيتين فيها–... فطارَ ابن العريفِ بها، وعلَقها على ظَهرِ كتابٍ بخطِ مِصْري، وورى وتحيَل بمداد أشْقَر، ودَخَل بها على المنصور، فلماَ رآها اشتدَ غيظاً على صاعِدٍ وقال: غداً أمْتَحِنُهُ..."[6].

إن جو التنافس على ما يبدوا أخرج العلماء عن صفاتهم التي يجب أن يتشبثوا بها، إلى استعمال الحيلة والمكيدة ردا عن الهزيمة، وبغية التغلب وإثبات التفوق.

ومما عرف عن صاعد أنه كان كثيراً ما يمدحُ بلادَ المشرقِ بمجلسِ المنصورِ، ويُباهي بأخبارِها، ووصف أشربتها وأديارِها[65]؛ ولقد امتحن صاعد البغدادي كثيرا في الأندلس واتهم

بالكذب، وافتضح في سرقة شعر غير واحد من شعراء الشام والعراق[66]، وذكر ابن بسام نقلا عن ابن حيان قوله:" ولما دخل قرطبةَ دَفعوه بالجُملةِ عن العلمِ باللغة، وأبعدوه عن الثقةِ في عِلمه وعقلِه ودينِه، ولذلك ما رَضِيَهُ أحدُ منْ أهلها أيَام دُخولِه إليها، ولا رأوْه أهلاً للأخذِ عنهُ ولا للإقتداءِ به، وغرَقوا كتَابه المترجم بـ « الفصوص»، فهاهو إلى اليومِ في نَهرِهم يَغوص"[67]، فقال بعضهم في ذلك:

قد غاصَ في البَحْر كتابُ الفُصُوصْ وهكـذا كـلُ ثقيـلٍ يَغُـوص؛ فبلغ صاعداً، فقال:

عـاد إلـى عـنـصـره؛ إنـمـا تخرج من قعر البُحور الفصوصْ[68].

ومما جرى لابن بسام صاحب الذخيرة مع أبي الحسن البغدادي المعروف بالفكيك، قال ابن بسام: "وكنتُ يوما بدار أبي بكر الخولاني المنجم بإشبيلية مع لمة من الأدباء، فأفضى بنا الحديثُ إلى ما للشعر من مُلح التضمين في المديح والهجاء ...فدخل الفكيك ونحن من هذا الحديث المستطرف على طرف، فقال أحسنُ من جميع ما أنشدتم أبياتٌ زعم أنه قالها في البديع يهجوه وهي:

رأيت البديعَ على أربع وقد عاينته عيون البشر

يقول وقد شَرَعَتْ خلفه كماةُ الفحولِ رماحُ الكمرْ

فلا وأبيك ابنة العامريَ لا يدَعي القوم أني أفر

فكأنَ الجماعة لم تجبه لكثرة حمقه، وفجاجة خلقه، ثم حركت الفكيك أريحيَة العُجب لسكوت أهل المجلس عنه هنالك، فكأنه غاظني ذلك، وقلت: لم تأت أنت بشيء، ومن حَضر لم يصْمتْ عنك، وإنما أردت أن تحذو حذوَ كاتب بكر حيث يقول وضمَن بعض أبياتٍ لامرئ القيس، فقصَرت عنه وهو قوله:

حديث أبي الفضل شيئٌ نُكُرْ إذ ما تـذكَرتُـه أقْشَعِـر

مـررتُ بـه وعليـه الغـلامُ ومن خلفه ذنبٌ مستطر

«فـلا وأبيك ابنةَ العامـري» ما هـاب مني ولم يزدجر[69].

رابعا: أثر التنافس العلمي على الحياة الفكرية الأندلسية: انعكست ظاهرة التنافس العلمي إيجابيا على الحركة العلمية والفكرية بالأندلس وكان من نتائجها تنشيط الحياة الثقافية، وتداول مختلف المعارف والكتب، وظهور علوم وفنون جديدة خاصة في مجال الغناء، وكثرة التآليف في التخصصات الأدبية والعلمية والدينية وتدوين مؤلفات مشرقية على أرض الأندلس، وتوسيع دائرة العلماء العلمية والثقافية،

وعلو مقامهم العلمي بين علماء عصرهم في البلدان الأخرى، وبزوغ نجم كثير من العلماء – خاصة المشارقة في الأندلس–، كما أن هؤلاء الوافدين دفعوا بعجلة التطور العلمي للأندلس في مجالات متنوعة واستطاعوا وضع بصمات حفظها التاريخ الفكري الأندلسي لأنهم وجدوا أنفسهم مجبرين على تقديم الأحسن أمام الأندلسيين الذين كان مستواهم العلمي عال وفي كل التخصصات.

كما ساهم هذا التنافس في ربط علاقات ثقافية متينة بين الجانبين المشرقي والمغربي بالرغم من العداء السياسي في كثير من المراحل التاريخية؛ وولدت ظاهرة التنافس بين العلماء بعض الآثار السلبية من نزع روح العداء التي كان دافعها الحسد والغيرة، حتى تناسى بعض العلماء أنفسهم ومقامهم الشريف وراحوا يكيدون لبعضهم المكائد والحيل، فكان نتاج ذلك ضياع بعض المؤلفات مثل كتاب الفصوص، واعتزال العلماء لمجالس العلم والمناظرات، ورحيل آخرين – علماء مشارقة– عن الأندلس؛ كما أصبحت ظاهرة عزوف الرحلة إلى بلاد المشرق في الفترة المتأخرة منتشرة ، ولعل وجود هؤلاء المشارقة في بلادهم، ومناظرتهم إياهم بل وتفوقهم عليهم أحيانا دفع بهم إلى التخلي عن فكرة الرحيل إلى المشرق للقاء كبار العلماء.

الخاتمة: حوصلة هذه الورقة البحثية أن أرض الأندلس شهدت توافد كبير لطائفة من العلماء المشارقة في فترة العصور الوسطى نظرا للاستقبال الجيد من طرف حكامها وانتشار الأمن والسلام في أصقاعها، مما أدى إلى ظهور حركة تنافس علمي واسعة وشديدة بين الطرفين المشرقي والأندلسي، سعى كل طرف إلى إثبات التفوق من أجل اكتساب امتيازات وحظوة عند السلاطين؛ وعموما فإن رحلات العلماء المشارقة إلى الأندلس قليلة مقارنة بالوجود الأندلسي بأرض المشرق عامة، لكن هؤلاء المشارقة أسهموا بجزء مهم في بناء صرح حضاري بالأندلس فرحلاتهم ومؤلفاتهم كانت بمثابة الحبل المتين الذي يربط الشرق الإسلامي بالغرب الإسلامي.

الهوامش:

1– المِشْرِق: جهة شروق الشمس، عكس المغرب، والمشارقة سكان المشرق، وَاِحِدُهُمْ مَشْرِقِي – ابن منظور أبو لفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر بيروت، (د: ت)، المجلد 10، ص 173– 174؛ الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ / 2005م، ص897 ؛ مجمع اللغة العربية – الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث–، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ / 2004م، ص480 .---**2**– المقري التلمساني أبو العباس أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د ت)، المجلد الثالث، ص5.---**3**– نفسه، ص5.---**4**– ابن بسام الشنتريني أبو الحسن علي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2000م، القسم الرابع، الجزء السابع، ص9.---**5**– تشمل ترجمة صاعد من الصفحة 10 إلى 63 – نفسه، ص10.---**6**– هناك من العلماء المشارقة من دخل المغرب فقط، وهناك من دخل المغرب والأندلس معا، وهناك من دخل الأندلس فقط وهؤلاء أكثر بكثير ممن دخل المغرب أو المغرب والأندلس معا.---**7**– توفي منصرفا من الوفادة على

الأمير المنذر بن محمد بالبيرة – ابن الأبار القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، ج2، ص155 ؛ المقري، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص111؛ فرقة بحث: فاطمة بلهواري، خالد بلعربي، سعيد شخوم، فوزية كرراز، قاسم صادق، النظم التجارية لدويلات المغرب الأوسط من ظهور الرستميين إلى نهاية الزيانيين (160– 962هـ /777 – 1554م)، ص58. ---**8**– ابن الأبار القضاعي، التكملة، المصدر السابق، ج3، ص242؛ المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص66.---**9**– ابن الأبار القضاعي، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص160؛ المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص143.---**10**– ابن الأبار، المصدر السابق، ج4، ص126–127، القاضي عياض، الغنية – فهرست شيوخ القاضي عياض–، تحقيق ماهر زهير جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ / 1982م، ص209 ؛ المقري، المصدر السابق، المجلد 3، ص67.---**11**– إن مذهب ابن حوقل واتصاله بالفاطميين دعا بعض المستشرقين مثل دوزي الهولندي إلى اتهامه بالتجسس لحساب الدولة الفاطمية بالأندلس–عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفاتهم من آثارهم، ط1، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر ، بيروت، 1416هـ / 1995م، ص201؛ إسماعيل العربي، دور المسلمين في تقدم الجغرافيا الوصفية والفلكية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر ، 1994م، ص302–315.---**12**– بعد دخول عبد الرحمن إلى الأندلس، وإعلان قيام الإمارة الأموية وفد عليه كثير من أفراد الأسرة الأموية المشرقية ومواليهم، فارين من العباسيين ومن هؤلاء: الوليد بن معاوية وابنه المغيرة، عبد السلام بن يزيد بن هشام المعوف باليزيدي– ابن عم عبد الرحمن الداخل–، وعبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام – ابن أخ الداخل، وجُزيّ بن عبد العزيز – أخو عمر بن عبد العزيز– و عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم لأمه في فر من الشام إلى الأندلس ودخلها سنة 140هـ / 757م، فولاه معاوية إشبيلية وهو من نصح عبد الرحمن بقطع الخطبة لأبي جعفر المنصور العباسي بعد أن خطب باسمه عشرة أشهر– ابن الأبار القضاعي ، الحلة السيراء، حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس ، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ، 1963م، ج1، ص 56–57 المقري، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص46–55– 58–59. ---**13**– المقري، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص121.---**14**– ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج4، ص150؛ ابن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، جذوة الإقتباس فيمن حلّ من الأعلام مدينة فاس، تحقيق وتعليق محمد بن عزوز، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم، بيروت، 1435هـ / 2014م، ص546–547؛ المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص68؛ هبة الله محمد عبد الفتاح، العلاقات الثقافية بين دولة الموحدين والمشرق الإسلامي (550 – 650هـ /1555–1252م)، ماجيستير –منشورة– في التاريخ والآثار الإسلامية، إشراف سعد زغلول عبد الحميد و نيلة محمد حسن، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، ص218.---**15**– النُباهيّ أبو الحسن علي بن عبد الله الجُذامي المالقي، تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرْقبة العُليا فيمن يستحقُ القضاءَ والفُتْيا، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهوّاري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ / 2006م، ص59.---**16**– ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج4، ص156.---**17**–وهو من ذرية عبد بن زَمْعَة أخي سودة أم المؤمنين –رضي الله تعالى عنها–، لقي ابن عبد البر في إشبيلية فأخذ عنه، المقري، المصدر السابق، المجلد 3، ص69.---**18**– ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي، تاريخ علماء الأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ /1997م، ص386–387 ؛ المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص122.---**19**– المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص143.---**20**– الطنداتائي: نسبة إلى قرية بمصر – المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص64.---**21**– ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج3، ص111– المقري، المجلد3، ص64.---**22**– يذكره الرعيني باسم: أبو القاسم بن الصّواف المصري الوافد على الموحدي المستقضى من قبلهم – الرُعيني الإشبيلي، برنامج شيوخ الرعيني ، تحقيق إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1381هـ / 1962م؛ ابن الأبار القضاعي، التكملة، المصدر السابق، ج2، ص163. ---**23**– ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، القسم الرابع، ج7، ص255–256؛ المقري، المصدر السابق، المجلد 3، ص119.---**24**– المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص118.---**25**– سفيان الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور من بني عبدة مناة، من مضر ولد سنة 97هـ –716م في الكوفة وبها نشأ؛ وله عدة مؤلفات في الحديث منها الجامع الكبير والجامع الصغير، توفي في 161هـ 778م– خير الدين الزركلي، الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين– ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج3، ص104.---**26**– النباهي، المصدر السابق، ص 59؛ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، طبقات الحفاظ، راجع النسخة وضبط أعلامها، لجنة من العلماء بإشراف الناشر،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ / 1994م، ص84 .---**27**– ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج3، ص250.---**28**– ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص278؛ المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص111.---**29**– ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج3، ص145؛ المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص65.---**30**– ولد سنة 560هـ / 1164م ، وتواجد في الأندلس في حدود سنة 600هـ / 1203م، ابن الأبار التكملة، المصدر السابق، ج3، ص162؛ المقري ، المصدر السابق، المجلد 3، ص66.---**31**– ابن بشكوال الخزرجي أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى الأنصاري، الصلة، ضبط نصه وعلق عليه جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ج2، ص222–223؛ ابن الزبير الثقفي أبو جعفر أحمد بن إبراهيم القاضي الغرناطي، صلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، الشيخ سعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1993م، القسم الثالث، ص57.---**32**– ابن الزبير، صلة الصلة، المصدر السابق، ج3، ص220–221؛ ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج3، ص54؛ المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص139.---**33**– المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص145، وقيل عنه لما دخل المغرب"فإذا رأيته شهدت بأن الشرق قد أتحف إفريقية ببغداد"– نفسه، ص147.---**34**– القالي: نسبة إلى قالي قلا بلد من أعمال أرمينية، ولقب بذلك لأنه دخل بغداد مع أهل قالي قلا– ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د:ت)، ج1،

227؛ المقري، المصدر السابق، المجلد 3، ص70. ---**35**– من مؤلفاته: كتاب الأمالي والنوادر، كتاب الأفعال، والبارع في اللغة، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب في الإبل ونتاجها، وكتاب في حلي الإنسان والخيل وشياتها، وكتاب فعلت وأفعلت، وكتاب مقاتل الفرسان، وكتاب شرح في القصائد المعلقات يسمى تفسير سبع الطوال – ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص227؛ المقري، المصدر السابق، المجلد 3، ص70.---**36**– السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص437. ---**37**– ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص488–489؛ السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ص7–8، المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص75–97.---**38**– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، المصدر السابق، القسم الرابع، ج1، ص10.---**39**– له أبيات شعرية رائعة صنعها في وقت رحيله عن الأندلس:

على الذلّ أو فاحْلُلْ عِقال الرّكائب وللضيمِ أو فاحلُل صدور الكتائبِ

فإمّا حَيـاةٌ بعـدَ إدراك مُنْيَـةٍ وإمّـا ممات تحت عـزّ القواضبِ

فما العَيشُ في ظل الهوانِ بطيّبِ وما الموت في سُبُلِ العلاءِ بعائبِ – ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج3، ص140؛ المقري، المصدر السابق، المجلد3 ،ص64–65.---**40**– ابن القاضي، المصدر السابق، ص168.---**41**– نفسه، ص533–539.---**42**–ابن الأبار القضاعي، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص111؛ المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، المجلد الثالث، ص143.---**43**– المقري، المصدر السابق، المجلد 3، ص55.---**44**– نفسه، المجلد3، ص62–64.---**45**– التكملة، المصدر السابق، ج3، ص6.---**46**– ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج3، ص162– المقري، المصدر السابق، المجلد 3، ص66 ؛ وقد علق المقري في آخر ترجمته قائلا: "ولا يخفى على من له بصر بعلم الحديث أن الأشج وابن نسطور لا يلتفت إليهما "– نفسه، ص66.---**47**– ابن الأبار، التكملة، المصدر السابق، ج1، ص111– المقري، المصدر السابق، المجلد 3، ص143.---**48**– ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 385.---**49**– ابن الزبير، المصدر السابق، ج3، ص34–35.---**50**– ابن الأبار،التكملة، المصدر السابق، ج2، ص302؛ المقري،المصدر السابق، المجلد3، ص138.---**51**– ولد سنة 299هـ – 911م بأنطاكية وتوفي بقرطبة سنة 377هـ– 987م، ودفن في مقبرة الربض، وهو من صنّف قراءة ورش– ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 253؛ المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص144.---**52**– زرياب: اسم لطائر اسود غَرِد في المشرق، لقب به زرياب لأنه كان أسود اللون، فصيح اللسان، حلو الشمائل لذلك شبه بالطائر زرياب – المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص122.---**53**– المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص122–129.---**54**– فضل المدينة وعلم المدينة: اشتريتا من المشرق لعبد الرحمن صاحب الأندلس وإليهن تنسب دار المدنيات بالقصر– المقري، المصدر السابق، المجلد 3، ص140.---**55**– العجفاء: وفدت من المشرق لا يعرف اسمها الحقيقي كانت جارية لمسلم بن يحي، ثم اشتراها عبد الرحمن بن معاوية صاحب الأندلس المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص141–142 ؛ سي عبد القادر عمر ، الدور الثقافي للمرأة الأندلسية، مجلة القرطاس الدراسات الحضارية والفكرية ببلاد المغرب، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، العدد: 01، سبتمبر 2012م، ص123 .---**56**– قمر البغدادية: جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي صاحب إشبيلية، عاصرت ابن عبد ربه الأندلسي صاحب العقد الفريد؛ المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص 140–141؛ سي عبد القادر عمر، المرجع السابق، ص123. ---**57**– المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص 141.---**58**– نفسه، ص148.---**59**– ينظر نص الرواية كاملا عند: السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص 8؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج2، ص489؛ المقري، المصدر السابق، المجلد 3، ص84.---**60**– المقري، المصدر السابق، المجلد 3، ص70–71.---**61**– نفسه، ص70.---**62**– ينظر الرواية، ونص الخطبة كامل في ترجمة منذر بن سعيد، تاريخ قضاة الأندلس، المصدر السابق، ص81.---**63**– المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص77. ---**64**– الذخيرة، المصدر السابق، القسم الرابع، ج7، ص15–16.---**65**– ابن بسام، المصدر السابق، القسم الرابع، ج7، ص22.---**66**– نفسه، ص21.---**67**– نفسه، ص10.---**68**– ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص489؛ ابن بسام، الذخيرة، المصدر السابق، القسم الرابع، ج7، ص10؛ السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص 7؛ المقري، المصدر السابق، المجلد3، ص78. ---**69**– ابن بسام، المصدر السابق، ص 256–257.

Abstract:

the scientific rivality between Maghreb and east on Andalusia land in middle age

There was two purposes for the phenomenon of the scientific competition – the topic of the research- the first is about searching in the phenomenon of the Levantine scientific arriving to the Andalusia, while the second is about the phenomenon's reflections intellectually on the life in the Andalusia particularly and the Islamic civilization in general.

We will be tackling this topic in the field of competition and its motivators and the most significant test that clarify it counting more on Andalusia biographies sources that have dealt with the topic.